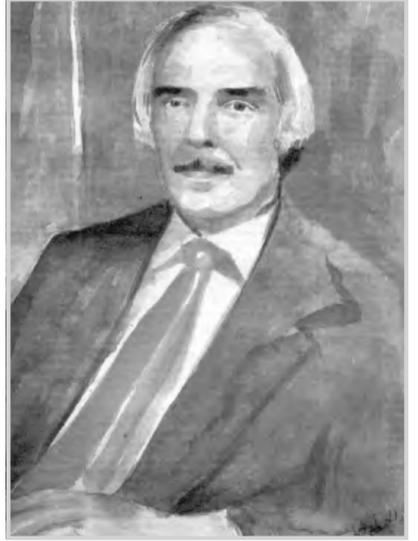


عن مهمود البريكان

يعتبر محمود البريكان من الرعيل الأول من كتاب الشعر الحر في العراق ، وهو أشرافهم موضوعاً ، وأخطرهم أسلوبياً وجرساً. بيد أنه اقلهم شهرة وتداولاً، وهذا تقصير من قبل الحركات الأدبية العربية، ومن النقاد خصوصاً.

وراء البريكان ثقافة تاريخية واعية، وثقافة قانونية، وثقافة فلسفية

أجنبية، مع هوس بالموسيقى الكلاسيكية الغربية. من جرّاء ذلك تفرّد شعره نوعاً وتنووعاً. وهو يختلف عن كل الشعراء بتمكنه من كتابة نثر دقيق علمي. مقتصد. وهذه ميزة لا تكتسب إلا بالقراءات النثرية المتعمقة، بالمقارنة والمجاهدة، بين النصوص، بحيث يصبح الكاتب



لا مجرد وعاء خازن ، بل جهازٌ تفاعلات كيميائية. هكذا باختصار، الكاتب الحقيقي مختبر، أهميته من تجاربه. والمعروف أن نثر كتاب الشعر الحر في العراق يتحضر في بعض الأحيان الى مستويات لا يمكن إساعتها بحال.

إذا صح الافتراض اعلاه ، ان الكاتب الحقيقي ستتخذ شكل البرود العلمي والتجرد والتواضع قبل وحتى بعد اجراء التجارب. هكذا شعر البريكان، جاد بلا حماس، وفيه صفات النهر العميق، لا الغيمة المتقلبة، صفة الكوروفيل والنتج والنسغ ، لا التغني الساذج بالعتقود. على هذا يمكن اعتبار قصائد البريكان- لولا بعض غنائيتها الموروثية -بداية الشعر المثقف Intellectual Poetry في القصائد العربية .

وحتى نفهم مكانة البريكان أكثر فلا بد من الإقرار بأن الشعر العربي عموماً شعر أنتشاري ينتقل فيه الشاعر من نقطة، ثم يتفرع ويتفرع . فالريشة مثلا، تقود الى الطير، والطير الى الطيران والترحال والهجرة، والهجرة الى أماكن غريبة وهكذا.... بهذا المعيار يمكن القول ، إن البريكان من الشعراء اللائحل الذين غيروا المعادلة الشعرية القديمة فجهدوا الى جمع العالم في نقطة، أي انه أصبح عدسة محدبة لامة . وهذا تطور، حيناً لو توقفت عنده النقاد لأنه بداية لكتابة قصيدة عضوية متواشجة متلاحمة.

في اواسط الخمسينيات نبه السياب

الى اهمية شعر البريكان وذكر شيئاً من قبيل اعظم أو افضل شاعر في العراق، أو بهذا المعنى فسرناه، المهم انه لم يذكر شاعرا غيره. منذ ذلك الحين، باتت متابعة نشاطات البريكان الأدبية، وكذلك الشخصية من فضولنا الأدبي.

رغم أن البريكان أكثر أبناء جيله نضجاً، وأعمقهم فكراً وأجدهم موضوعاً ، إلا أنه -على العموم- لا يمكن عزله عنهم. عني جيل الخمسينيات -فيما عني به -بالعدالة الاجتماعية، والحرية، بالموت والعقم . لا يفوتنا أن الشعراء العراقيين منذ العشرينيات من القرن الماضي، طرّقوا وبالحاح، الموضوعات الاجتماعية، من فقر ويتم وطلاق وسرقة وجريمة . أفرغوها في قوالب حكاية سردية تميزت بالميوعة ويميزد من الميوعة، وبلغت نضجها عند الرصاصة في " التيمم في العيد" و" الأزملة المرصعة" و" المطلقة". رمى الشاعر من وراء قصائد كتلك الى أستتارة الشفقة مباشرة. على أية حال، كان الشاعر في كل الأحوال يصف الضحية ولا يتقمصها . بكلمات أخرى لم يجعل الضحية تتحدث عن نفسها. حصيلة شعرية كهذه ، كانت أمام الشاعر الخمسيني، منها غرف، ومنها استلهم. أضف إلى ذلك ما قرأه السياب وربما البريكان من قصائد حكاية في الشعر الإنكليزي بلغته الأصلية. فالموسم العمياء امتداد للشعر العراقي العشريني والثلاثيني، من حيث أنها في نهاية المطاف تستدر العطف وتستثير الشفقة خاصة أن الموسم (وعمياء

ايضا) لا تنطق بالضد ، لا تعي زرايتها، وان نطقت فلأن حظها في المهنة منكود.

في قصيدة البريكان " ارتسام " منحى لا يختلف كثيراً وان كانت اكثر حدة واقتصاداً ؛ " أطل المعلم الصاحب أطل قفطرتين .." أطل من خلف الزجاج عابر صغير بوجهه الشاحب أطل لحظتين " أسقط قفطرتين .." تتمسح القصيدة بكلمة : خلف. أي أن الرواية كان إما مترصداً فقط وبتراكم كلمات مثل : عابر صغير / وجه شاحب / زجاج بارد قاس / نظرتين نهمتين، يكون الرواية قد أكملت عدة لا بأس بها في استدرار العطف والشفقة، وحين ذكر الرواية : " لكن عين الناس / همت به فغاب فإنما كان يصور قساوة المجتمع ليس إلا. قصائد من هذا النوع وهي تفتقر للمبادرة والموقف، لا تثير الإعجاب بل الشفقة على الموصوف. إذا أردنا للأعمال الأدبية الموضوعية أن تأخذ أبعاداً إنسانية أكبر من بيتها، فلا بد من المبادرة -العمل، كمبادرة لكلامش في الكشف عن سر الموت ولهائه وراء الخلود. خيبته المسايوية عنصر حاسم في الإشارة لأنها تحثنا على المزيد من المغامرات الفكرية والعضلية. ومن أمثلة المبادرة- العمل ، مقامات بديع الزمان الهمداني، وشهرزاد التي تجعل شهربار تلعبه ، بكل ما فيه من بطش وتوحش وأنانية. وأقرب الأمثلة الى ذلك في الاويرا (

الصدارة في الشعر الخمسيني ، هي الحرية . حيث ارتبطت بكل معانيها بالتححر الوطني ، ولكن بعد الاستقلال الفعلي ١٩٥٨ توقف هذا النوع من الشعر أو كاد، ولكن كما يبدو لم يتوسع شاعر عراقي في مفهوم الحرية، وخاصة الحرية حبيل المشنقة. رضخت عن مقت، من دلالة ذلك رفضه (للتمائل الكامل) في قصيدة عن الحرية : " لا أشتي عينا زجاجيه فما من المطاط لا أتبعي إزالة الفرق ولا أريد سعادة التماثل الكامل شكراً لكم دعوه يبقى ذلك الفاصل أليس عبداً في الصميم سيد العبيد "

كما رفض محمود البريكان الذوبان في أية مؤسسة أياً كانت وأجهاها، كما في قصيدته : " السقوط الجماعي " و " انتماءات ". ولاشك في أنه طور موضوع الحرية الفردية ، - الأنا ، إلى موضوع الحرية الفردية -الأنت ، وهذا عين ما فعله الشاعر الإنكليزي ملتن . رغم أن موضوعات البريكان الشعرية طريفة غاية الطرافة، وأصيلة ومتطورة ولكن ما يشوق فيه أكثر، طريقتيه في معالجة تلك الموضوعات سواء من حيث التوزيع الموسيقي أو صياغة العبارة المتقنة الصنع، وهي التي تجعله أخطر شعراء جيله وأكثرهم شاعرية . وهو بلا شك أعمقهم وأشملهم . أما تقنياته فأكثر تميزاً ، يجد فيها الشعر كرامته . محمود البريكان ، باختصار ، شاعر أكبر من بيئته .

قصيدة

عندها ينكسر الفصن

دقيق، وعندما استيقظ ذات صباح وجد الدمية جالسة عند اسفل سريره، فاندفع فغمره البهجة، الى والديه ليعبر لهما عن امتنانه. فاصابت والديه الحيرة، لانهما لم يكونا قد اشتريا الدمية، وسألا الطفل من اين حصل عليها، فانسحب الى غرفته، وراح يفكر بالدمية ومصدرها، وقد اكتشف ان الدمية قد جاءت من احلامه، ابدعها عقله هو.

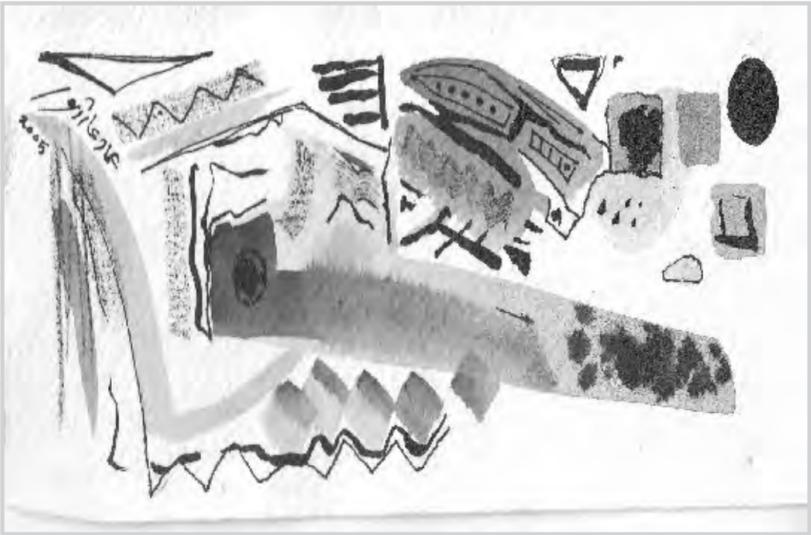
فكان في كل ليلة يعلم بدمية مختلفة، وفي كل صباح تظهر دمية جديدة عند اسفل سريره ومتى ما رغب في شيء راح ببساطة يعلم به، فيظهر

رأى ولد صغير ذات يوم دمية في نافذة متجر من المتاجر، فالتمس من والديه ان يشتريا الدمية له، لكن الامر كان فوق امكانياتهما البسيطة. فراح في كل مساء يعلم بالدمية، وفي كل يوم يلتمس من والديه شراء الهدية، وفي كل يوم يقول له (لا).

واستمر الامر عدة ايام وفي آخر الامر، توقف الصبي عن طلب الدمية، اذ كانت احلامه بالدمية قد اصبحت تعويضا مناسباً عنها. فحلم بالمغامرات الرائعة الكثيرة التي لديه الدمية المبجلة، وبالبهجة التي جلبتها على حياته. وتأمل كل تفصيل

جورج لويس بورخيس

ترجمة -عادل العامر



The Garden Of Jorge Luis Borges

عودة المنفى الى الجذور:

تمزقات ثقافية في عالم متغير

تجري على مدار الساعة. العالم القديم ما عاد سوى حكايات تروى في قبيلوات الظهيرة، اما الحاضر فهو الكون كله. جزء كبير مما يجري في عراق اليوم له علاقة بهذه الحقيقة. عراق قديم منغلِق على المحلية المتخلفة، المنتمبة الى التقاليد المتكلسة المترسبة منذ العهود العثمانية، وعراق جديد يتلمس خطواته في خضم المعاصرة، التواصل مع الخارج، القفز على حواجز الوطنية المنتسخة والتدين المناق والعشائرية المتلبسة برداء التقاليد الأصلية والحنين الى ماض غاب ولن يعود.

الغاء العقل وسيلة المهزومين، حين يواجهون خطراً اضخم من ان يقفوا في وجهه. التمزق الحضاري موجود لدى الغالبية هنا، رغم ان قسماً منهم لم يخرج من العراق. وتلك مفارقة أخرى. هم يعاودون ذلك التمزق كونهم يعيشون زمنين في الوقت ذاته، لكل زمن بواعثه ومواصفاته وهواجسه وسماته. ففي حقبة التحولات الكبرى تتناثر الكتل الصلبة للبشر وتتسظى. يضع المرء بين وجوه متعددة للحقيقة، أو الواقع. الرسو الى جانب ما يتطلب زمناً وتفاعلات ومقارنات بين هذا وذلك. وعلى مر الزمن تحت ثنائية هوية أخرى. تغيب الهوية القديمة وتحل محلها هوية الحاضر، المنفتح على الجهات. العراق الجديد يختلف كلياً عن عراق ذلك الزمن الذي خرجت فيه الى أرض الله الواسعة. الجديدة لم تات بسبب التطور فقط، انما نتجت عن تفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية، حركت مياهاها الساكنة هزات وزلازل حدثت في العشر سنوات الأخيرة من حياة العراقيين.

اعتقد ان ذلك الاختلال في الروح العراقية سيستمر قود من الزمن، الى ان يأتي جيل جديد متناسق مع الظروف، لا يعيش حالة التمزق الحضاري التي عاها جيلنا، جيل ابائنا حين ينمو في ظل بيئة حضارية منسجمة مع ايقاعات العصر، ومنفتحة على الآخر، وعارية من قسور الغيبات والأوهام التي غدتها السلطة السياسية بكامل مؤسساتها، على امتداد عشرات السنين. يسهل الحديث عن فرد وتجربة بذاتها، لكن الحديث عن شعب بأكمله يتطلب عدة أخرى. عدة الفكر البشري المحصن بنظريات حديثة، ومغامرات عقلية، وخبرات.

العراقية التي تعيب على القادمين من الخارج اليوم بأنهم لم يعودوا عراقيين، واغتربوا طويلاً عن الامانة. هذا صحيح في وجه من الوجوه. عشرات السنين من الاختلاط بحضارات اخرى ينبغي عليها ان تغير الانسان. وفي الوقت ذاته افكر في ان العراق الذي نرغب فيه يجب ان يكون هكذا: عراقاً حضارياً غير منغلِق، منفتحاً على العالم وحركاته وافكاره وتقنياته وصرعائه. نحن لا نستطيع ان نكون جزيرة منعزلة في المحيط الضاح من حولنا. وربما هي ليست اشكالية عراقية فحسب بل هي تخص الثقافة العربية، او المجتمعات العربية برمتها. يجب ان تفتح الباب على مصراعيه امام ما يجري في الخارج. يجب ان تجرب التلاحق في الأفكار والعادات والمآكل والصحيح لتضادي الانغلاق والتطرف والأصولية، ولاحقاً الانتحار الحضاري. اذكر حينها الروائي الترينيدادي من اصل هندي، نابيول الحائز على جائزة نوبل، فاجد انه خير من عبر عن هكذا لحظات او تمزقات في الحضارة المعاصرة.

كانت معظم شخوص نابيول تعيش هذه الأزواجية، ازدواجية الحضارات والهويات والأزمات. ابطاله كونيين صاروا، ويات عليهم تقبل حقيقة انهم لم يعودوا مواطنين اصلاء لأي بلد، ليسوا تابعين لأي دين أو عقيدة أو مكان. هل تتجه البشرية الى خلق انسان من هذا النمط؟ افكر بالأوروبي الذي يعيش في البرازيل خبيراً في احدى الشركات، ويقضي هناك عشرات السنين. وافكر بالباكستاني الذي استوطن جنوب افريقيا وصار يعيش من بقاليته في احد الشوارع الفرعية في الضاحية الثانية من جوهانسبرغ، وافكر في اللبثاني الذي هاجر الى شيلى وراح يتكلم الاسبانية ويحتفل بأعياد الشعوب ما قبل الكولومبية. جميعهم ادركوا ما هم عليه، وتقبلوا مصيرهم، مصير اشخاص يعيشون في عصر جديد، عصر العولمة أو اندماج الحضارات نحو بلوغ المواطنة العالمية التي لا تعد فرصة بل واقعا مفروضاً. العاب الطفولة اندثرت، التماس مع الطبيعة خلف وراء ذلك العالم السحري الذي نسميه بالتلفاز والاذتريبت. وجد حتى الطفل نفسه في خضم عالم واسع، بعاداته المتنوعة وألغابه الالكترونية وافلامه وأحداثه المصورة التي

بعضها لكنني نسيت اسماءها. فاضطرت الى الاعتماد على اخي الأصغر كي يذكرني بهم، بالمناسبة لم اعترف على اخوتي ايضاً، فقد كبروا وشابوا وقست ملامحهم وياتت واحد صفة، المفاتيح التي كنت احمليها لاخوتي لم تعد صالحة للدخول الى ارواحهم. الزمن غير الأفضال والمفاتيح، الا بنقلق لهذا، وتأكل طعامها، وقرأ صحفها، تعرف مفاتيح مدينة ما، ثم تغادرها سنوات وتعود، لتجد ان مفاتيحك لم تعد ملائمة، المفاتيح تتجدد بتجدد المكان وكذلك البشر، يتجددون ويتغيرون بتغير الزمن والتجارب والأحداث.

الحياة مصنوعة من احداث تجري في الزمن، ولكل مكان احداثه. التجارب المعيشة تظهر في التعابير، تعيش عشر سنوات في فرنسا، تتكلم لغتها، وتأكل طعامها، وقرأ صحفها، فاذا بك تحمل شيئاً منها. تصبح فرنسياً ما، حتى لو كانت النسبة ضئيلة. هل هذا امر جيد ام سيئ؟ يصب الجواب. هل المسؤول هو أنت ام الظروف المحيطة بك؟ وتلك اشكالية الهويات التي كرس لها امين معلوف كتاباً كاملاً، وكذلك كتب عنها الطاهر بن جلوس وميلان كونديرا وادوارد سعيد وسواهم. انها على ما يبدو اصبحت اشكالية كونية، لا تخص المثقفين والمبدعين والمفكرين بل عامة الناس في هذه الحقبة المحكومة بالهجرات والتحولات واللجوء والانزياحات الحضارية. الملايين من الهنود الذين يعيشون في بريطانيا، هل بقوا هنوداً حقاً ام اصبحوا انكليزاً، ام بين بين؟ مرة اخرى هي اشكالية الهوية والانتماء والعولمة والاندماج الحضاري الجاري بشكل كوني. احياناً اعطي الحق لبعض الأصوات

الوشائج الداخلية التي كانت تتربط مع مؤثرات المكان الأول زالت. تخلقت مراكز حسية جديدة نتيجة هواء آخر ووجه أخرى ولغات ذات محمولات رمزية ثانية. قاموس الأصوات مخالف، وكذلك قاموس الروائح والمبصورات والمسموعات. هذه تجارب داخلية يصعب الاحساس بها لمن لم يعيشها ويخضع لمفاعيلها. طوال سنة من عودتي لم التقي اي وجه اعرفه صدفه في الشارع أو المعلم أو محل العمل. عرفت كثيراً من الأشخاص خلال دراستي في الجامعة وانشاء خدمتي العسكرية وسفراتي داخل الوطن. ربما كنت التقيهم لكنني لم اعرف عليهم. احياناً كانت تمر على وجوه احسن اني اعرفها او عرفتها حين كانت شابة ذات يوم، الا ان ملامحها ظلت ثابتة في راسي. زمنها غير زمني. الصورة المختزلة لا تشبه الصورة التي امامي. ربما بعض من الملامح فقط. حين وصلت القرية في اليوم الأول جاء رجال ونساء السلام على، كنت اعرفهم جيداً. تربيت معهم وعاشرتهم، وصورهم ظلت في ذاكرتي حين كنت اطوف بين البلدان. لكل اسم قصة وحديث. كنت اطلع في الملامح وأشخص

الابتعاد عن المكان ينحت فجوة في صخور الكائنات، روحية قبل ان تكون ملموسة. تغيب ملامح وتولد اخرى. ظل المكان الأول صورة مسجلة في الذهن، الا انه زال واندثر، مع ناسه وحكاياتهم، مع ان قسماً كثيراً من اولئك الناس بقوا احياء، تلك الحقائق تجلب الحزن الى روح العائد الى وطنه، وعلى كاهله عقود من الاغتراب، والسفر، والسياحة في العالم الخارجي. هذا الشعور ربما يهضم وينظر به حين يحدث مع الجمادات، مع الشوارع والأبنية والحدائق والنخيل، لكنه حين يحدث مع البشر فهو يهلاً النفس بالحزن والخيبة والخواء. التفسير الوحيد الذي اقنعتي هو ان الامر يكمن في داخلي انا، وليس في المكان او اصحاب المكان. انا الذي تغيرت بعد هذه السنوات. انا الذي امتلأت دواخله بالماضي والأمكنة البعيدة. لقد غيرتني علاقات شستها، ومدن رأيتها، وبلدان زرتها، ومياه سبحت فيها وشربت منها، وتلوج تحتل.

في قرنتي لم تسقط تلوج على الاطلاق. رأينا البرد فقط، ولعبنا مع حباته والتهمناه، لكن لم نر ثلوجاً. انا من تغير وليس المكان فقط.



شاكر الأنباري

المكان ينمو نمو البشر. تتغير ملامح الطبيعة، وتتأكل البنايات، وتقوم واجهات جديدة. فالزمن له وقع ثقيل على الإنسان والجمادات. إن الانقراض عند المكان الأول يحدث فجوة في الروح ، وهذا ما أحسست به ما ان عدت الى القرية ، بعد اكثر من عشرين سنة من المنفى. القرية التي ولدت فيها ، وعرفت خباياها ونخبها ، لم اعرف عليها في البدء ، تضاريسها الأولى انحمت وزالت ، ومنذ ذلك مقبرتها الصغيرة النائمة على طرف صحراء الجزيرة . تغير المكان بقوة ، لكنه ظل ملونا بحكاياته القديمة ، حكايات سنوات سابقة من طفولة مهيبة .